﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٥ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٦﴾ [المجادلة: 5 - 6]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قبلَهُما:

تهديدُ الكافرينَ المُتجاوِزينَ حدودَ الله

لمّا ذَكَرَ تعالى المؤمنينَ الواقفينَ عندَ حدودِهِ ذَكَرَ المُحادّينَ المُخالِفينَ لها[1].

ولمّا جرَى ذكرُ الكافرينَ، وجرَى ذكرُ حدودِ اللهِ نُقِلَ الكلامُ إلى تهديدِهم وبِشارةِ المؤمنينَ بالنَّصرِ عليهم[2].

تعيينُ وقتِ العذابِ المُهينِ الموعود

وأمّا مناسبةُ الآيةِ الثّانيةِ للأولى فهي أنَّهُ تعالى لمّا ذَكَرَ عذابَهم ذَكَرَ وقتَهُ على وجهٍ مُقرِّرٍ لِما مَضَى مِنْ شُمولِ عِلْمِهِ وكمالِ قُدرتِهِ[3].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كُبِتُواْ﴾: (كبت) أصلٌ يدلُّ على الإذلالِ والصَّرفِ عن الشَّيءِ[4]، ومِنْ ذلكَ يقالُ: كبتَ اللهُ العدوَّ يكبتُهُ، إذا صرفَهُ وأذلَّهُ[5]، وردَّهُ بغيظه[6]، والكَبْتُ: الرَّدُّ بعنفٍ وتذليلٍ، قال تعالى: ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ۝١٢٧﴾ [آل عمران: 127][7]، والكَبْتُ: الصَّرعُ[8]، والكَبْتُ: كسرُ الرَّجلِ وإخزاؤُهُ[9]. والمرادُ بالكَبْتِ هنا: الخِزْيُ والهلاكُ[10].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 288، وأبو حيان، البحر المحيط: 10/ 124.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 355، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 23.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 357.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كبت).
(5) الجوهري، الصحاح: (كبت).
(6) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (كبت).
(7) الراغب، المفردات: (كبت).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (كبت).
(9) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (كبت).
(10) الزمخشري، الكشاف: 4/ 489.

2) ﴿مُّهِينٌ﴾: (مهن) أصلٌ يدلُّ على احتقارٍ وحَقارةٍ في الشَّيءِ[1]، ومِنْ ذلكَ قولُهم: مَهينٌ؛ أي: حقيرٌ، والمَهانةُ: الحقارةُ[2]. والمرادُ بالمُهين هنا: أنَّهُ يُلحِقُ بهم الهَوانَ والذُّلَّ[3].

3) ﴿أَحْصَىٰهُ﴾: (حصي) أصلٌ يدلُّ على العدِّ[4]، ومِنْ ذلكَ: الإحصاءُ، وهو التَّحصيلُ بالعددِ[5]، وذلك من لفظ الحَصَى؛ لأنَّه يُستعمل كما تُستعمَل الأصابع في العدّ، وعلى ذلك قولُهُ تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: 28]؛ أي: أحاطَ به وحصَّله إحاطةَ العادِّ منكم، وذلك على سبيل التنزُّل معهم على ما يفهمونه[6]، ويقالُ: أحصيتُ الشَّيءَ، أي: عَدَدْتُهُ[7]، وقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: 20]، أي: لن تطيقوا عدَّه وضبطَهُ، ومعنى ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾: أحاطَ بهِ عدًّا، ولم يَغِبْ عنهُ شيءٌ منهُ[8].

4) ﴿وَنَسُوهُ﴾: (نسي) أصلٌ يدلُّ على إغفالِ الشَّيءِ[9]، ومِنْ ذلكَ: النِّسيانُ، وهو تركُ الإنسانِ ضَبْطَ ما استودِعَ، إمّا لضعفِ قلبِهِ، وإمّا عن غفلةٍ، وإمّا عن قصدٍ حتّى يُحذَفَ عن القلبِ ذكرُهُ بهِ[10].

## ❁ المَعْنى الإجماليُّ:

مَـــنْ خـالَـفَ الحقَّ فلهُ سوءُ العاقبةِ في الدُّنيا والآخِرة

يُخبرُ اللَّهُ تعالى عن سوءِ عاقبةِ المخالفينَ لهُ ولنبيِّهِ ﷺ، فيقولُ: إنَّ الَّذينَ يخالفونَ اللَّهَ ورسولَهُ ويُعادونَهما أُخْزوا كما أُخزيَ الَّذينَ مِنْ قبلِهم مِنَ الأممِ الَّذينَ خالفوا اللَّهَ ورُسُلَهُ، وقد أنزَلْنا دلالاتٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مهن).
(2) الخليل، العين: (مهن).
(3) المراغي، تفسير المراغي: 28/ 8.
(4) ابن فارس، مقايس اللغة: (حصي).
(5) الراغب، المفردات: (حصي).
(6) السّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (حصي).
(7) الجوهري، الصحاح، والزبيدي، تاج العروس: (حصي).
(8) المراغي، تفسير المراغي: 28/ 8.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نسي).
(10) الرّاغب، المفردات: (نسي).

مفصَّلاتٍ تدلُّ على حقائقِ حدودِ اللّهِ وأحكامِه، ولجاحدي تلكَ الدَّلالاتِ ومُنكِريها عذابٌ مُذِلٌّ في جهنَّمَ، وذلكَ يومَ يَبعَثُهم اللّهُ جميعًا مِنْ قبورِهم لموقفِ القيامةِ، فيُخبِرُهم بما عملوهُ مِنَ الأعمالِ، فقد أحصَى اللّهُ ما عملوا، فعَدَّهُ عليهم، وأثبَتَهُ وحَفِظَهُ، ونَسوه هم، واللّهُ مُطَّلِعٌ ورقيبٌ على كلِّ شيءٍ مِنْ أعمالِهم وغيرِها[1].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### بلاغةُ فصلِ قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾ الآية:

تَبشيرُ المؤمنينَ بإذلالِ الكافرين

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ كلامٌ مُستأنَفٌ مَسوقٌ لزَفِّ البُشرى إلى رسولِ اللّهِ ﷺ والمؤمنينَ بكَبْتِ أعدائِهم وإذلالِهم[2].

### نكتةُ التَّوكيدِ بـ﴿إِنَّ﴾ واسميَّةِ الجملةِ:

الكافرونَ مَغلوبونَ وإنْ كَثُروا

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ﴾ بـ﴿إِنَّ﴾ واسميَّةِ الجملةِ؛ لأجلِ إنكارِهم أنْ يُغلَبوا على كثرتِهم وقوَّتِهم وضعفِ المؤمنينَ وقلَّتِهم[3]، وللتَّنبيهِ على أنَّ كَبْتَهم وإذلالَهم واقعٌ لا محالةَ[4].

### نكتةُ التَّعبيرِ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ذلّ

جيءَ بالموصولِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ﴾؛ للتَّوصُّلِ لذَمِّهم بما في حيِّزِ الصِّلةِ، وهو مُحادَّتُهم للّهِ ورسولِهِ، ولتعليلِ حكمِ كَبْتِهم وإذلالِهم، كأنَّهُ قيلَ: كُبِتوا لأنَّهم يحادّونَ اللّهَ ورسولَهُ. وليكونَ الوعيدُ عامًّا يَشمَلُ كلَّ مَن حادَّ اللّهَ ورسولَهُ، فليس المرادُ كفّارًا بأعْيانِهم.

---

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، ص: 236 - 23/ 235، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 41، والقاسمي، محاسن التّأويل: 9/ 165.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 10.

(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 355.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 23.

### دلالةُ صيغةِ المضارعِ في ﴿يُحَآدُّونَ﴾:

استمرارُ الكَفَرةِ على مُحادَّةِ اللهِ ورسولِه

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ ﷻ: ﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ للدِّلالةِ على الاستمرارِ والتَّجدُّدِ؛ أي: مُجدِّدينَ المُحادَّةَ مُستمرّينَ عليها[1].

### سرُّ التَّعبيرِ بالمُحادَّةِ دونَ غيرِها:

المُـحـادَّةُ أنسبُ بذكرِ حُدودِ الله

المرادُ بالمُحادَّةِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: المُعاداةُ والمُشاقَّةُ؛ فإنَّ كُلًّا مِنَ المُتَعادِيَين كما أنَّهُ يكونُ في شِقٍّ غيرِ شِقِّ الآخرِ كذلكَ يكونُ في حَدٍّ غيرِ حَدِّ الآخرِ، ولكنْ أوثرَ هنا لفظُ المُحادَّةِ؛ لوُرودِها في أثناءِ ذكرِ حدودِ اللهِ، فتكونُ أنسبَ بها؛ فإنَّ المُحادَّةَ مُشتقَّةٌ مِنَ الحدِّ[2].

### وجهُ إيقاعِ المُحادَّةِ على اسمِ الجلالة:

مُـحـادَّةُ رسولِ اللهِ محادَّةٌ لله

المرادُ بالمحادَّةِ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ محادَّةُ رسولِ اللهِ ﷺ المُرسَلِ بدينِ اللهِ، فمُحادَّتُهُ مُحادَّةٌ للهِ[3]، وبناءً على ذلكَ يكونُ ذكرُ اسمِ الجلالةِ تمهيدًا لذكرِ الرَّسولِ ﷺ، والمقصودُ التَّنبيهُ على منزلةِ الرَّسولِ مِنَ اللهِ ﷻ. ويحتملُ أنْ يكونَ المعنى: يحادّونَ أولياءَ اللهِ ورسولَهُ[4]، على تقديرِ حذفِ مضافٍ.

### نكتةُ إيثارِ اسمِ الجلالةِ دونَ غيرِه:

مُعاداةُ العظيمِ خارجةٌ عن دائرةِ المَعقول

أوثرَ اسمُ الجلالةِ دونَ غيرِهِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ﴾؛ لدلالتِهِ على صفاتِ العظمةِ والجلالِ الَّتي توجِبُ عدمَ مُحادَّتِهِ ومُعاداتِهِ ومُخالفتِهِ[5]، فإقدامُ هؤلاءِ على محادَّتِهِ ومعاداتِهِ أمرٌ خارجٌ عن دائرةِ المعقولِ، وفي ذلكَ مِنْ تقبيحِ شأنِهم ما لا يخفَى.

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 355.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 217، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 23.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 23.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 288.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 355.

### نكتةُ الإضافةِ في ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾:

رسولُ العظيمِ شأنُهُ عظيم

إضافةُ الرَّسولِ إلى اسمِ الجلالةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ لتشريفِ الرَّسولِ وتعظيمِهِ[1]، وزيادةِ التَّشنيعِ على مَنْ يُحادُّهُ ويُخالفُهُ ويُعاديهِ.

### بلاغةُ التَّعبيرِ بالكَبْتِ:

مَنْ خالفَ اللهَ ورسولَهُ فعاقِبَتُهُ الخِزْيُ والإذلال

أصلُ الكَبْتِ: الكَبُّ، وقد استُعمِلَ في قولِهِ ﷻ هنا: ﴿كُبِتُواْ﴾ بمعنى الإخزاءِ على سبيلِ المجازِ؛ لأنَّ الإخزاءَ لازمٌ للكَبِّ[2].

### نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿كُبِتُواْ﴾ و﴿كُبِتَ﴾:

إذلالُ الكافرينَ واقعٌ لا مَحالة

الفعلُ ﴿كُبِتُواْ﴾ مُستعمَلٌ في الوعيدِ؛ أي: سيُكبَتونَ، فعُبِّرَ عنهُ بصيغةِ الماضي تنبيهًا على تحقيقِ وقوعِهِ؛ لصُدورِهِ عمَّن لا خلافَ في خبرِهِ، ولأنَّهُ مؤيَّدٌ بتنظيرِهِ بما وقعَ لأمثالهم. وقرينةُ ذلكَ تأكيدُ الكلامِ بـ﴿إِنَّ﴾؛ لأنَّ الكلامَ لو كانَ إخبارًا عن كَبْتٍ وقعَ لم يكنْ ثَمَّ ما يَقتَضي تأكيدَ الخبرِ؛ إذ لا يُنازِعُ أحدٌ فيما وقعَ[3].

### غرضُ البناءِ للمفعولِ في الفعلِ ﴿كُبِتُواْ﴾:

اللهُ تعالى يُعِزُّ مَن يشاءُ ويُذِلُّ مَن يشاء

جيءَ بصيغةِ المبنيِّ للمفعولِ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ لأنَّ الفاعلَ متعيِّنٌ، وهو اللهُ ﷻ الَّذي يُعِزُّ مَنْ يشاءُ، ويُذِلُّ مَنْ يشاءُ.

الكافرونَ صائِرونَ إلى هَوانٍ شديد

ويُحتمَلُ أنْ يكونَ البناءُ للمفعولِ للتَّنبيهِ على شدَّةِ ضعفِهم وذُلِّهم وهَوانِهم، بحيثُ يَكْبِتُهم كلُّ أحدٍ، ويُتَخطَّفونَ مِن كلِّ مكانٍ.

سُنَّةُ اللهِ في إذلالِ الكافرينَ واحدةٌ لا تَتَخلَّف

### دلالةُ التَّشبيهِ بالكافِ:

الكافُ في قولِ الباري عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 355.
(2) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 193، وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 497.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 124، والبقاعي، نظم الدّرر: 19/ 355، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 23.

للتَّشبيهِ، فتفيدُ تشبيهَ كَبْتِ هؤلاءِ بكَبْتِ الَّذينَ مِنْ قبلِهم، وفي ذلكَ فَتٌّ في عَضُدِهم بالتَّنبيهِ على أنَّهم لا يُعجِزونَ اللَّهَ تعالى، بل هو قادرٌ عليهم اقتدارَهُ على الَّذينَ مِنْ قبلِهم، وذلكَ بمنزلةِ قَرْنِ كَبْتِ هؤلاءِ بالدَّليلِ عليهِ[1].

**دلالةُ (ما) في ﴿كَمَا كُبِتَ﴾:**

كَبْتُ المذكورينَ مِثْلُ كَبْتِ أسلافِهم

(ما) في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مصدريَّةٌ، والمعنى: ككَبْتِ الَّذينَ مِنْ قبلِهم. وعدَلَ عن التّعبيرِ بالمصدرِ الصَّريحِ (كبْت) إلى التّعبيرِ بالمؤوَّلِ من (ما) المصدريَّةِ والفعلِ الماضي بعدها؛ ليفيدَ الفعلُ بصيغةِ المُضيِّ تقرُّرَ هذا الأمرِ، بتقييدِ حُصولِهِ فيما مضى.

**غرضُ التَّعبيرِ بالموصولِ في قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾:**

مَنْ وُعِظَ بكَبْتِ غيرِهِ اتَّعَظَ واعتَبَر

جيءَ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ للدَّلالةِ على قومٍ معهودينَ معروفينَ، وهم أعداءُ الرُّسلِ في كلِّ أمَّةٍ مِنَ الأُمم، كقومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وغيرِهم[2]، أو الَّذينَ حادّوا اللَّهَ في غزوةِ الخندقِ، وهم يعرفونَهم جيِّدًا[3]، والأوَّلُ أولى وأعمُّ وأدخَلُ في الوعيدِ والتَّهديدِ والحثِّ على تركِ المُحادَّةِ.

**معنى ﴿مِن﴾ في ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾:**

زمانُ المكبوتينَ السّابقينَ مُتقدِّمٌ على زَمَنِ هؤلاء

﴿مِن﴾ في قولِ الباري جلَّ ذكرُهُ: ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ لابتداءِ الغايةِ الزَّمانيَّةِ، فتفيدُ أنَّ زمانَ المكبوتينَ السّابقينَ قبلَ زمانِ هؤلاءِ المحادّينَ.

**وجهُ التَّعبيرِ بـ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾:**

المُحادّونَ لم يَستغرِقوا جميعَ الأزمانِ الماضيةِ

لمّا كانَ المحادّونَ لم يستغرقوا جميعَ الأزمانِ الماضيةِ والأماكنِ أُدخِلَ الجارُّ، فقيلَ: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾، ولم يُقَلْ: (قبلَهم)[4].

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 355، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 23.
(2) الزّمخشري، الكشاف: 4/ 489، وابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 276.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 23.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 356.

### دلالةُ الواوِ في ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ﴾:

سَفاهةُ رَأْيِ مَن يُعادي الحقَّ وهو يَعلَمُ سوءَ العاقِبة

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ﴾ حاليَّةٌ، والجملةُ حالٌ مِنْ واوِ ﴿كُبِتُواْ﴾؛ أي: كُبِتوا لمحادَّتِهم والحالُ أنَّنا قد أنزلنا آياتٍ واضحاتٍ فيمَنْ حادَّ اللَّهَ ورسولَهُ ممَّنْ قبلَهم مِنَ الأممِ وفيما فعَلْنا بهم[1]، وفي ذلكَ تسفيهٌ لرأيِهم؛ إذ حالُهم حالُ مَنْ يقعُ في حُفرةٍ وهو يراها وينظرُ إليها ويُمكِنُهُ اجتنابُها.

لا عُذرَ لمَن يُحادُّ اللهَ ورسولَه

ويُحتمَلُ أنْ تكونَ الجملةُ معترضةً بينَ جملةِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ وجملةِ ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾، ومعنى الاعتراضِ: لا عذرَ لهم في محادَّةِ اللهِ ورسولِهِ؛ فإنَّ مع الرَّسولِ ﷺ آياتٍ بيِّنةً على صدقِهِ[2].

### دلالةُ (قد) في ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ﴾:

إنـزالُ الآياتِ البيِّناتِ مُتَحقِّق

(قد) في قولِهِ ﷻ: ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ﴾ حرفُ تحقيقٍ[3]، فيُفيدُ تحقيقَ إنزالِ الآياتِ البيِّناتِ.

### نكتةُ صيغةِ الماضي في ﴿أَنزَلۡنَآ﴾:

إنـزالُ الآياتِ البيِّناتِ مُتَيقَّن

جيءَ بالفعل ﴿أَنزَلۡنَآ﴾ على صيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ إنزالَ الآياتِ البيِّناتِ أمرٌ قد تحقَّقَ ومضى، فلا شكَّ فيهِ ولا ارتيابَ.

### سرُّ إسنادِ الإنزالِ إلى ضميرِ العَظَمةِ:

الأفعالُ تَعظُمُ بعَظَمةِ فاعلِها

أُسنِدَ فعلُ الإنزالِ إلى ضميرِ العظمةِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ﴾؛ لدلالتِهِ على تعظيمِ شأنِ الإنزالِ؛ أي: أنزلْنا بما لَنا مِنَ العظمةِ[4]، وذلكَ أنَّ فعلَ العظيمِ عظيمٌ.

---

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 217، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 216.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 24.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 10.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 356.

### بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظِ (الآياتِ) مجموعًا:

عُبِّرَ بالآياتِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ﴾؛ لأنَّها علاماتٌ تدلُّ على صدقِ المُرسَلِ بها وصحَّةِ ما جاءَ بهِ مِن عندِ ربِّهِ[1].

وجُمِعَتِ الآياتُ؛ للدَّلالةِ على كثرتِها، وذلكَ أبلغُ في إقامةِ الحُجَّةِ عليهم؛ إذ كثرةُ الآياتِ تَستدعي كثرةَ التَّنبيهِ والإرشادِ والاستدلالِ على صدقِ النَّبيِّ ﷺ، وصحَّةِ ما جاءَ بهِ مِنْ عندِ اللهِ ﷻ، ولو كانَتْ آيةً واحدةً لربَّما تَذَرَّعوا بأنَّها غيرُ كافيةٍ.

الآياتُ علاماتٌ على صدقِ الرِّسالة

تَعَدُّدُ الآياتِ أبلغُ في إقامةِ الحُجَّة

### غرضُ تنكيرِ ﴿ءَايَٰتٍ﴾:

تنكيرُ ﴿ءَايَٰتٍ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ﴾ للتَّفخيمِ والتَّهويلِ؛ أي: آياتٍ عظيماتِ الشَّأنِ، لا يُقادَرُ قَدْرُهُنَّ.

عَظَمةُ آياتِ التَّنزيلِ وفَخامةُ شأنِها

### سرُّ وصفِ الآياتِ بالبيِّنات:

وُصِفَتِ الآياتُ بالبيِّناتِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ﴾؛ للتَّنبيهِ على وُضوحِها في الدَّلالةِ على المرادِ بها، وأنَّها لا لَبْسَ فيها ولا غُموضَ، وفي ذلكَ قطعٌ لسِلْكِ أعذارِ المشركينَ وحُجَجِهم[2].

لا لَبْسَ في آياتِ التَّنزيلِ ولا غُموضَ فيها

### دلالةُ الواوِ في ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾:

الواوُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ عاطفةٌ، والجملةُ معطوفةٌ على جملةِ ﴿كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾؛ أي: لهم بعدَ الكَبْتِ عذابٌ مُهينٌ في الآخرةِ[3]، أو معطوفةٌ على جملةٍ محذوفةٍ يدلُّ عليها السِّياقُ، والتَّقديرُ: فللمؤمنينَ نعيمٌ مقيمٌ، وللكافرينَ عذابٌ مهينٌ[4].

الكافرونَ مَجموعٌ لهم بينَ خِزْيِ الدُّنيا وعذابِ الآخرة

### بلاغةُ التَّتْميمِ أو التَّذْييلِ في جُملةِ الفاصِلة:

قولُهُ ﷻ: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ إمّا تتميمٌ وإمّا تذييلٌ، فإذا

المُحادّونَ في عذابٍ مُقيمٍ يومَ القيامة

(1) الزّمخشري، الكشاف: 4/ 489.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 216.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 24.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 356.

جُعِلَتِ اللّامُ في قوله ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ للعهدِ كانَ الكلام تتميمًا بوَضْعِ المُظهَرِ موضعَ المُضمَرِ، والمعنى: لأولئك الكافرينَ الَّذين لم يَتَّبِعوا الآياتِ البيِّناتِ، بل حادّوا اللّهَ ورسولَهُ عذابٌ مُهينٌ، والظَّرفُ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾ منصوبٌ بالكونِ المحذوفِ الواقع خبرًا، الَّذي تعلَّقَ به الجارُّ والمجرورُ؛ أي: وعذابٌ مهينٌ كائنٌ للكافرين يومَ يَبعَثُهم.

الكافرونَ جميعًا في عذابٍ مُقيمٍ يومَ القيامة

وإذا جُعِلَتِ اللّامُ للجنسِ كان الكلام تذييلًا، فتشملُ اللّامُ جنسَ الكافرين كلَّهُ، ويدخلُ فيهِ أولئكَ المُحادّون دخولًا أوَّليًّا، وينتصبُ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾ بإضمارِ (اذكُرْ)؛ لتمامِ الكلامِ هناكَ[1].

### معنى اللّامِ الجارَّةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾:

الكافرونَ مُستَحِقّونَ للعذابِ المُهين

اللّامُ الجارَّةُ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ للاستحقاقِ، فتُفيدُ أنَّ الكافرينَ جميعًا، أو المُحادّينَ اللّهَ ورسولَهُ مُستَحِقّونَ لِما أُعِدَّ لهم في الآخرةِ مِنَ العذابِ المُهينِ.

### بلاغةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ في ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾:

الكفرُ صِفَةٌ راسِخةٌ في الكافِرين

عُبِّرَ باسمِ الفاعلِ المجموعِ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ للتَّنبيهِ على كثرتِهم، وعلى رُسوخِهم في الكفرِ؛ أي: وللرّاسخينَ في الكفرِ عذابٌ مُهينٌ[2]، وفي ذلكَ إيماءٌ إلى أنَّ الكفرَ صارَ كصفةٍ مِنْ صفاتِهم الجِبِلِّيَّةِ الَّتي لا تُفارِقُهم.

### نكتةُ الإيجازِ في ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾:

الكافرُ مُنكِرٌ لِكلِّ ما يَجِبُ الإيمانُ بِه

قولُهُ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ فيهِ إيجازٌ بحذفِ مُتعلّقِ الكفرِ؛ إذ المعنى: وللكافرينَ بما يجبُ الإقرارُ والإيمانُ بهِ. وحَذْفُهُ زيادةٌ في الذَّمِّ؛ لِما يَتَضمَّنُهُ من عمومٍ وشمولٍ لكلِّ ما يوجِبُ الإيمانَ.

(1) الطّيبي، فتوح الغيب: 15/ 278.

(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 356، والشربيني، السّراج المنير: 4/ 224.

**غرضُ تقديمِ ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾:**

قُدِّمَ ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ على ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ للاهتمامِ بالمُقدَّم، والتَّشويقِ إلى المُؤخَّرِ، وهو العذابُ المُهينُ؛ ليَتَمكَّنَ في النَّفْسِ عندَ وُرودِهِ عليها فضلَ تمكُّنٍ، ولأنَّ في تأخيرِ ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ رِعايةً للفواصلِ.

استِحقاقُ الكافرينَ للعَذابِ مَحَطُّ الاهتمامِ والعِناية

**نكتةُ تنكيرِ ﴿عَذَابٌ﴾:**

نُكِّرَ ﴿عَذَابٌ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ لتهويلِ شأنِ العذابِ وتعظيمِهِ وتفخيمِهِ؛ أي: عذابٌ عظيمٌ فظيعٌ هائلٌ، لا يُقادَرُ قَدْرُ هَوْلِهِ.

عذابُ الكافرينَ شديدُ الهَوْلِ والفَظاعَة

**سرُّ وصفِ العَذابِ بالمُهينِ دونَ غيرِهِ:**

وُصِفَ العذابُ بالمُهينِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ لأنَّهُ يَذهَبُ بعِزِّهم وتَكَبُّرِهم[1]. وقد أوثِرَ هذا الوصفُ على غيرِهِ مِنَ (الأليم والشَّديدِ ونحوِهما)؛ لأنَّ قبلَهُ قولَهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، والمُحادَّةُ هي المُعاداةُ والمُشاقَّةُ، ومِنْ لَوازِمِها الظُّهورُ والارتفاعُ، والإهانةُ مِنْ لَوازِمِها الذُّلُّ والخضوعُ[2]، فعومِلوا بنقيضِ ما أظهَروا. وأيضًا وصفُ المُهينِ يُناسِبُ وعيدَهم بالكَبْتِ الَّذي هو الذُّلُّ والإهانةُ[3].

عاقِبةُ المُحادّينَ المُتعالينَ المُتكبِّرينَ الذُّلُّ والهَوانُ والصَّغار

**نكتةُ المجازِ في ﴿مُّهِينٌ﴾:**

في وصفِ العذابِ بالمُهينِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ مجازٌ عقليٌّ؛ بإسنادِ الإهانةِ إلى السَّببِ، لأنَّها لا تُتَصوَّرُ من العذابِ، إذ العذابُ هو سببُ الإهانةِ، وإنَّما المُهينُ هو المعذِّبُ بهِ ﷻ[4].

المُهينُ هو المُعذِّبُ، لا العَذاب

**بلاغةُ مَوقِعِ ﴿يَوْمَ﴾ مِن حيثُ الإعراب:**

تقدَّمَ أنَّ الظَّرفَ ﴿يَوْمَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾

يومُ الحِسابِ والجَزاءِ يومٌ عظيمُ الشَّأن

(1) الزّمخشري، الكشاف: 4/ 489، والبيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 193.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 180.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 24.
(4) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 168.

منصوبٌ بإضمارِ (اذكُرْ) على أنَّهُ مفعولٌ بهِ لا ظرفٌ لهُ، تعظيمًا لليوم وتهويلًا لهُ[1]؛ لِما في تقديرِ (اذكُرْ) مِنْ تأكيدِ استقلالِ الجملةِ، والحثِّ على تذكُّرِ ما يَجري في ذلك اليومِ الهائلِ العظيم. أو هو منصوب بالكون المحذوف المقدر في خبر قوله سبحانه: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ على قصدِ اتِّصال الكلامِ بعضِهِ ببعضٍ، وعدمِ استقلالِ قولِهِ سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾، كما يجوزُ أن يكونَ منصوبًا باسمِ الفاعل ﴿مُّهِينٌ﴾.

**نكتةُ صَوْغِ الفِعلين ﴿يَبْعَثُهُمُ﴾ و﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ مُضارِعَين:**

البَعْثُ والتَّنْبِئةُ مَشهَدانِ مَهيبانِ عظيمان

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾؛ لأنَّ البعثَ والتَّنبِئةَ أمرانِ مُستقبَلانِ، ولتصويرِ حَدَثَي البعثِ والتَّنبِئةِ العظيمينِ الهائلينِ؛ لأجلِ تربيةِ المهابةِ في النُّفوسِ، وحثِّها على تركِ ما هي مُقيمةٌ عليهِ مِنَ المُحادَّةِ والمُشاقَّةِ.

**مَرجِعُ الهاءِ في الفعلين:**

البَعْثُ شامِلٌ لِلمُحادّينَ وغيرِهم

ضميرُ الجمعِ في قولِهِ تعالى: ﴿يَبْعَثُهُمُ﴾، و﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ عائدٌ إلى ﴿ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[2].

**نكتةُ التَّعبيرِ باسمِ الجلالة:**

يومُ القيامةِ يومُ تَجَلّي ذي العظمةِ والجلال

أوثِرَ لفظُ الجلالةِ على غيرِهِ مِنَ الأسماءِ الحُسنى في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾؛ لتربيةِ المهابةِ في مقامِ التَّهديدِ والوعيدِ، وذلكَ يناسبُهُ الإتيانُ باللَّفظِ الدّالِّ على صفاتِ العظمةِ والجلالِ لمالكِ يومِ الدّينِ[3].

**بلاغةُ التَّعبيرِ بـ﴿جَمِيعًا﴾:**

اللهُ تعالى مُقتدِرٌ على جميعِ المُخالِفينَ لشَرائِعِه

عُبِّرَ بـ﴿جَمِيعًا﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾؛ لدَفْعِ تَوَهُّمِ عدمِ الشُّمولِ، وللتَّنصيصِ على أنَّ البعثَ شاملٌ للمُحادّينَ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 488، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 289، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 498.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 24.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 357.

والَّذينَ مِنْ قبلِهم، بحيثُ لا يُتركُ منهم أحدٌ غير مبعوثٍ[1]، وفي ذلكَ مزيدُ تخويفٍ وتهديدٍ وإظهارٍ لاقتدارِ اللّهِ تعالى عليهم، وأنَّهم لا يُعجزونَهُ.

**دلالةُ العطفِ بالفاءِ في ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾:**

الإخبارُ بالأعمالِ يكونُ عَقِبَ البعث

الفاءُ عاطفةٌ للتّرتيبِ والتَّعقيب، كما يُلمَحُ فيها معنى السَّببيّة؛ إذ لمّا كانَ لا أوجعَ مِنَ التَّبكيتِ بحضرةِ بعضِ النّاسِ - فكيفَ إذا كانَ بحضرتِهم كلِّهم؟ وكيفَ إذا كانَ بمرأى مِنْ جميعِ الخلائقِ ومَسْمَعٍ؟ - سبَّبَ عن بَعْثِهم وعقَّبَ بقولِهِ: ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾[2].

**غرضُ الإخبارِ بقولِهِ تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾:**

الخِزْيُ والفَضيحةُ لاحِقانِ بالمُحادّينَ وأشلافِهم يَقينًا

في قولِهِ ﷻ: ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ تهديدٌ بفَضْحِهم يومَ البعثِ، وتشهيرٌ لحالِهم، وتقريرٌ لعذابِهم[3]. وفيهِ أيضًا كنايةٌ عن الجزاءِ على أعمالِهم[4].

**دلالةُ التَّضعيف في الفعل (يُنَبِّئُهُمْ):**

الإخبارُ بالأعمالِ يومَ القيامةِ يَستَقصي كلَّ شيء

جيءَ بالفعلِ (يُنَبِّئُهُمْ) مُضعَّفَ العينِ، ولم يُقَلْ: (يُنْبِئُهم) بالتَّخفيفِ؛ للمبالغةِ في شدَّةِ التَّنْبيءِ في ذلكَ اليومِ العظيمِ، وللتَّنبيهِ على أنَّهُ تَنْبيءٌ يَستقصي كلَّ شيءٍ[5].

**معنى الباءِ في ﴿بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾:**

الأعمالُ مُتعلَّقُ التَّنْبيءِ يومَ البَعْث

الباءُ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ لتعديةِ الفعلِ إلى مفعولِهِ الثّاني. وفيه إشارةٌ الى أصلِ معناها وهو الإلصاقُ المعنويُّ، لكونِهِ معنًى لا يُفارِقُها كما هو مُقرَّرٌ عندَ كثيرٍ مِن النَّحويّين.

(1) الزّمخشري، الكشاف: 4/ 489، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 498، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 24.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 357.
(3) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 193.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 24.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 357.

### دلالةُ (ما) في ﴿بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾:

كلُّ عَمَلِ ابنِ آدمَ مُحصًى عليه

(ما) في قولِ اللهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ موصولةٌ وعائدُها محذوفٌ؛ أي: فينبِّئُهم بالَّذي عملوهُ، والمرادُ مِنَ التَّعبيرِ بها إفادةُ العموم، فيفيدُ الكلامُ التَّنْبيءَ بجميعِ الأعمالِ يومَ البعثِ، وفي ذلكَ مِنَ التَّهويلِ والتَّرويعِ ما لا يخفَى.

ويجوزُ أن تكون (ما) مصدريَّةً، والتَّقدير: فيُنَبِّئُهم بعَمَلهم، والتَّعبيرُ بالمصدرِ المُؤوَّلِ للدَّلالة على تحقُّقِ تلك الأعمال وحِفْظِها عليهم.

### دلالةُ صيغةِ الماضي في ﴿عَمِلُوٓاْ﴾:

الدُّنيا مَزرعةُ الآخرةِ

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾؛ لأنَّ التَّنبئةَ تكونُ بما صدَرَ عنهم مِنَ الأعمالِ في الحياةِ الدُّنيا، الَّتي هي دارُ السَّعيِ والعملِ[1]، وقد مَضَتْ هذهِ الأعمالُ وانقضَتْ.

### سرُّ التَّعبيرِ بالعَمَلِ دونَ غيرِه:

كلُّ إنسانٍ مرهونٌ بكَسْبِ يَدِه

عُبِّرَ بالعملِ دونَ غيرِهِ مِنَ (الفعلِ والصُّنعِ ونحوِهما) في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾؛ لأنَّ العملَ يكونُ بقصدٍ مِنَ العاملِ، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى أنَّ ما صَدَرَ عنهم في الدُّنيا مِنَ الأعمالِ، ونُبِّئوا بهِ قد صَدَرَ بإرادتِهم وقصدِهم، وفي ذلكَ قطعٌ لأعْذارِهم وتعلُّلاتِهم.

### علَّةُ فَصْلِ قولِهِ سبحانَهُ: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾:

لا يَعْسُرُ على اللهِ تعالى ضَبْطُ أعمالِ عبادِه

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لِما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّهُ استئنافٌ بيانيٌّ وقعَ جوابًا عن سؤالٍ نشأ ممّا قبلَهُ، وهذا السُّؤالُ إمّا عن كيفيَّةِ التَّنبئةِ وإمّا عن سببِها، كأنَّهُ قيلَ: كيفَ يُنبِّئُهم بأعمالِهم وهي أعْراضٌ مُتَقَضّيةٌ مُتَلاشيةٌ؟ فقيلَ: أحصاهُ اللهُ عددًا، لم يَفُتْهُ منهُ شيءٌ[2].

ويُحتمَلُ أنْ تكونَ جملةُ ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ في موضعِ الحالِ مِن

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 289.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 218، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 217.

الموصول في قولِهِ: ﴿بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾، والمقصودُ مِنَ الحالِ هو ما عُطِفَ عليها مِنْ قولِهِ: ﴿وَنَسُوهُۚ﴾؛ لأنَّ ذلكَ محلُّ العِبْرةِ، وبهِ تكونُ الحالُ مؤسِّسةً لا مؤكِّدةً لعاملِها، وهو ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾؛ أي: عَلِمَهُ اللَّهُ علمًا مُفصَّلًا مِنَ الآنَ وهم نَسوهُ[1].

### دلالةُ الماضي في ﴿أَحْصَىٰهُ﴾:

اللهُ تعالى رَقيبٌ على كُلِّ شيء

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ إحصاءَ اللهِ تعالى لِما عملوهُ أمرٌ قد تحقَّقَ ومضَى، وفي ذلكَ إيقاظٌ لبواعثِ الخوفِ والخشيةِ في نفسِ كلِّ عاقلٍ؛ ليَستشعِرَ مراقبةَ اللهِ تعالى لحركاتِهِ وسَكَناتِهِ.

### بلاغةُ المَجازِ بلفظِ الإحصاءِ:

عِلْمُ اللهِ تعالى محيطٌ بكلِّ ما يَعمَلُهُ عبادُه

في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ مجازٌ لطيفٌ، وذلكَ بجعلِ الإحصاءِ مجازًا عن إحاطةِ علمِهِ تعالى بأعمالِهم عددًا[2]، بحيثُ لم يَفُتْهُ منها شيءٌ[3]، وقد أحاطَ بجميعِ أحوالِ تلكَ الأعمالِ مِنَ الكمّيَّةِ والكيفيَّةِ، والزَّمانِ والمكانِ؛ لأنَّهُ تعالى عالمٌ بالجُزْئيّاتِ[4]. وفي ذلكَ إقامةٌ للحُجَّةِ البالغةِ عليهم[5].

### سرُّ إظهارِ اسمِ الجلالةِ في ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾:

عِلْمُ العظيمِ سبحانَهُ عظيمُ الشَّأْن

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (أحصاهُ) دونَ اسمِ الجلالةِ؛ لتقدُّمِ ذكرِهِ، لكنْ عُدِلَ إلى الإظهارِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾؛ لِما يدلُّ عليهِ هذا اللَّفظُ مِنْ صفاتِ العظمةِ والجلالِ والجمالِ[6]، ومنها العلمُ المحيطُ بكلِّ شيءٍ، فيكونُ مُلائمًا لذكرِ الإحصاءِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 25.
(2) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 499.
(3) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 193.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 488.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 289.
(6) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 357.

### دلالةُ الواوِ في ﴿وَنَسُوهُۚ﴾:

ضَعْفُ عِلْمِ المخلوقِ وعَظَمةُ عِلْمِ الخالِقِ

قولُهُ تعالى: ﴿وَنَسُوهُۚ﴾ معطوفٌ على قولِهِ: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[1]. وفي هذا العطفِ مقابلةٌ بينَ إحصاءِ اللهِ تعالى لأعمالِهم - وهو علمُهُ المحيطُ بها - وبينَ نسيانِ أصحابِ الأعمالِ لها في الدُّنيا بَلْهَ الآخرةِ، فيفيدُ الكلامُ كمالَ الخالقِ ونقصَ المخلوقِ.

### بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظِ النِّسيانِ ماضيًا:

المُشركونَ مُتَهاوِنونَ بأمرٍ عظيم

في التَّعبيرِ بالنِّسيانِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَنَسُوهُۚ﴾ تسجيلٌ عليهم بأنَّهم تهاوَنوا بالأعمالِ حينَ ارتَكَبوها، فلم يُبالوا بها؛ لِضَراوَتِهم بالمعاصي وكثرةِ ارتكابِهم لها، ولذلكَ نَسوها؛ لأنَّهُ إنَّما تُحفَظُ مُعظَّماتُ الأمورِ[2].

نِسيانُهم أعمالَهم أمرٌ مُتحقِّق

وجيءَ بصيغةِ الماضي في قولِه تعالى: ﴿وَنَسُوهُۚ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ نسيانَهم لِما عملوهُ أمرٌ قد تحقَّقَ ومضَى؛ لأنَّهم نَسوهُ في الدُّنيا فضلًا عن الآخرةِ.

### دلالةُ الواوِ في جُملةِ الفاصِلة:

مَنْ كَمُلَ عِلْمُهُ أحصَى كلَّ شيءٍ عددًا

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ استئنافيَّةٌ، والجملةُ تذييلٌ مقرِّرٌ لِما قبلَهُ[3]؛ إذ كونُهُ تعالى شهيدًا على كلِّ شيءٍ يُؤكِّدُ إحصاءَهُ لأعمالِ عبادِهِ. ويُحتمَلُ أنْ تكونَ الواوُ لعطفِ هذهِ الجملةِ على جملةٍ محذوفةٍ، والتَّقديرُ: فاللهُ بكلِّ شيءٍ مِنْ أعمالِهم وغيرِها عليمٌ، واللهُ على كلِّ شيءٍ شهيدٌ[4].

### سرُّ إظهارِ اسمِ الجَلالةِ وتكرارِه:

اللهُ تعالى مُتَّصِفٌ بالقُدرةِ الشّامِلةِ والعِلْمِ المُحيط

الظّاهرُ أنْ يقالَ في جملةِ الفاصلةِ: (وهو على كلِّ شيءٍ شهيدٌ)؛ لتقدُّمِ ذكرِ اسمِ الجلالةِ، لكنْ عُدِلَ إلى الإظهارِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ لتأكيدِ استقلالِ جملةِ التَّذييلِ بحيثُ تَجري مَجْرَى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 25.
(2) الزّمخشري، الكشاف: 4/ 489، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 488.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 499، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 25.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 358.

الأمثالِ، وللتَّصريحِ بالاسمِ الدّالِّ على صفاتِ العظمةِ والجلالِ، الَّتي منها كونُهُ تعالى مُتَّصفًا بالقدرةِ الشّاملةِ والعلمِ المحيطِ.

**معنى ﴿عَلَىٰ﴾ في ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾:**

جميعُ الأشياءِ تحتَ سُلطانِ عِلْمِ اللهِ تعالى وقدرتِه

﴿عَلَىٰ﴾ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ للاستعلاءِ المَجازيِّ، فتفيدُ أنَّ الأشياءَ مقهورةٌ تحتَ سُلطانِ علمِهِ تعالى وقدرتِهِ، وكأنَّ علمَهُ تعالى مُسْتَعْلٍ عليها[1].

**دلالةُ الإضافةِ في ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾:**

تأكيدُ سَعَةِ عِلْمِهِ تعالى تأكيدًا بعدَ تأكيد

إضافةُ ﴿كُلِّ﴾ إلى ﴿شَيْءٍ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ لتأكيدِ عمومِ كلمةِ ﴿شَيْءٍ﴾، وبيانِ شمولِها لِما ذُكِرَ وما لم يُذكَرْ، بحيثُ لا يَخرُجُ شيءٌ عن علمِهِ تعالى[2].

**غرضُ تقديمِ ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾:**

الاهتمامُ بالتَّنْصيصِ على إحاطةِ عِلْمِهِ تعالى بكلِّ شيء

قُدِّمَ القيدُ ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ على عاملِهِ، وهو الخبرُ ﴿شَهِيدٌ﴾ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ للاهتمامِ بالمُقدَّمِ، والمُسارعةِ في إثباتِ كونِ كلِّ شيءٍ تحتَ سلطانِ علمِ اللهِ، وذلكَ أنسبُ لمقامِ الإخبارِ بإحاطةِ علمِهِ ﷻ، ولأنَّ في تأخيرِ ﴿شَهِيدٌ﴾ رعايةً لتلاؤُمِ الفواصلِ.

**نكتةُ التَّعبيرِ بلفظةِ ﴿شَهِيدٌ﴾ دلالةً وصيغةً:**

اللهُ حفيظٌ على كلِّ شيءٍ

عُبِّرَ بلفظِ ﴿شَهِيدٌ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّهُ ﷻ مُطَّلِعٌ وناظرٌ، لا يخفَى عليهِ شيءٌ[3]، وحفيظٌ حاضرٌ لا يَغيبُ[4].

وأوثِرَتْ صيغةُ (فعيلٍ) في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 358.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 358.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 289.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 358.

﴿شَهِيدٌ﴾، ولم يُقَلْ: (شاهدٌ)؛ للمبالغةِ في اتِّصافِهِ ﷻ بكونِهِ شاهدًا على كلِّ شيءٍ، وفي ذلكَ مزيدُ تأكيدٍ على شُمولِ علمِهِ.

اتِّصافُ اللهِ تعالى بالعِلْمِ على وجْهِ المُبالَغة

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### البَعْثُ والإحياءُ والنُّشور:

البَعْثُ: إثارةُ الشَّيءِ وتوجيهُهُ، ويختلفُ بحسَبِ اختلافِ ما عُلِّقَ بهِ؛ فبعثُ البعيرِ: إثارتُهُ وتسييرُهُ، وبعثُ الموتى: إخراجُهم مِنْ قبورِهم، وتسييرُهم إلى القيامةِ، وأمّا الإحياءُ فهو جعلُ الحياةِ تَدِبُّ في الشَّيءِ[1]. وبناءً على ذلكَ يكونُ البَعْثُ أعمَّ مِنَ الإحياءِ؛ لأنَّهُ يُستعمَلُ في إحياءِ الموتى وإخراجِهم للقيامةِ، ويُستعمَلُ في غيرِهِ، كإثارةِ البعيرِ وتسييرِهِ. وأمّا النُّشورُ فيكونُ بعدَ البعثِ؛ لأنَّهُ جَعْلُ الموتى يَنتشِرونَ في الأرضِ بعدَ بعثِهم، ويتفرَّقونَ فيها حتَّى يَجمَعَهم موقفُ الحشرِ[2]. وقد عُبِّرَ بالبعثِ هنا؛ لأنَّهُ يشيرُ إلى عِدَّةِ أهوالٍ مِنْ أهوالِ القيامةِ، فهو يشيرُ إلى الإحياءِ والإخراجِ مِنَ القبورِ.

البَعْثُ أنسبُ لمَقامِ التَّهْويل

### الإنباءُ والإخبارُ:

النَّبأُ: خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ يَحصُلُ بهِ علمٌ أو غلَبةُ ظنٍّ، ولا يقالُ للخبرِ: نبأٌ حتَّى يتضمَّنَ هذهِ الأشياءَ الثَّلاثةَ، وحقُّ الخبرِ الَّذي يقالُ فيهِ: نبأٌ أنْ يخلوَ عن الكذبِ، كالتَّواتُرِ، وخبرِ اللهِ تعالى، وخبرِ النَّبيِّ ﷺ[3]. وبناءً على ذلكَ يكونُ الإنباءُ هو الإخبارَ بما لهُ فائدةٌ عظيمةٌ، بحيثُ يحصلُ بهِ علمٌ أو غلَبةُ ظنٍّ.

الإخبارُ بالأعمالِ في الآخرةِ عظيمُ الشَّأنِ

وقد اختيرَتِ التَّنبئةُ هنا؛ لإفادةِ تعظيمِ شأنِ الإخبارِ بالأعمالِ في الآخرةِ[4]، وأنَّ المُخبَرينَ يحصلُ لهم علمٌ بعدَ إخبارِهم بأعمالِهم، وذلكَ أنسبُ لمقامِ إقامةِ الحجَّةِ عليهم.

(1) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 286.
(2) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 288.
(3) الرّاغب، المفردات: (نبأ)، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 297.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 357.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60 : المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-643-66-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"